بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

رياض الصالحين - الدرس : 023 - باب الإقتصاد في الطاعة - المشقة ليست مطلوبة لذاتها

08-01-1989

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

ما دلالة هذا الحديث ؟

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا مع الحديث النبوي الشريف، ولا زلنا في باب الاقتصاد في الطاعة .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

((بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ, إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ, فَسَأَلَ عَنْهُ, فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ, نَذَرَ أَنْ يَقُومَ, وَلَا يَقْعُدَ, وَلَا يَسْتَظِلَّ, وَلَا يَتَكَلَّمَ, وَيَصُومَ, فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ, وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ, وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ))

نذر على نفسه, أن يقوم في الشمس، أن يقف في الشمس؛ ولا يعرف شمس الحجاز إلا من زارها، نذر أن يقوم في الشمس، وألا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ, وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ, وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ))

هذا الحديث فيه دلالةٌ كبيرة، هذه الدلالة: أن المشقَّة ليست مطلوبةً لذاتها، لكنك إذا أردت أن تصل إلى عملٍ عظيم، لكنك إذا أردت أن تصل إلى مرضاة رب العالمين، لكنك إذا أردت أن تفعل الخير، لكنك إذا أردت أن تطلب العلم، لكنك إذا أردت أن تفعل شيئاً عظيماً يرضي الله عزَّ وجل، وكانت المشقَّة سبيلك إلى هذا الشيء، فأنعِم بهذه المشقة، وأهلاً بهذه المشقَّة، فالمشقَّة في الإسلام ليست مطلوبةً لذاتها .

لو أن هناك سيارةً, تنقلك إلى المدينة المنورة، هل يعقل أن تذهب إليها ماشياً؟ هل تظن أن الثواب لو ذهبت إليها ماشياً أكبر؟ لا، لأن هذه المشقة أصبحت مطلوبةً لذاتها، لأن هذه المشقة أصبحت نوعاً من تعذيب الإنسان نفسه، والله سبحانه وتعالى غنيٌ عن تعذيب الإنسان نفسه، لم نُخلق لنعذَّب، ولم نُخلق لنعذب أنفسنا باختيارنا، ولكن لو أنك أردت أن تصل إلى مجلس علمٍ, وكان البرد شديداً، والأمطار منهمرةً، والمواصلات صعبةً، ووقفت وقتاً طويلاً, تنتظر مركبةً عامة, تنقلك إلى مجلس العلم, فهذه

مشقة، ولكن هذه المشقة وسيلةٌ لطلب العلم، إذاً: أنْعِمْ بها من مشقة، عندئذٍ يفوق أجر هذا الذي تحمَّل هذه المشقة, أجر الذي لم يتحمَّلها، عندئذٍ تدخل المشقة في الحساب، في الأجر والثواب، لا تدخل المشقة في الحساب, والأجر والثواب, إلا إذا كانت وسيلةً لعملٍ عظيم .

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا بارك الله لي في يومٍ, لم أزدد فيه من الله قرباً، ولا بارك الله لي في يومٍ, لم أزدد فيه من الله علماً))

لو أن الإنسان باع واشترى، وربح أموالاً طائلة في يوم من الأيام، ولم يزدد في هذا اليوم من الله قرباً، ولم يزدد في هذا اليوم من الله علماً، فهذا اليوم ليس مباركاً، هذا اليوم لا يمتد أثره إلى الدار الآخرة، بل ينقطع أثره عند الموت، مهما ربحت من أموال، مهما أنجزت من أعمال، لكنك في يومٍ ما تقرَّبت إلى الله عزَّ وجل، ازددت منه قرباً بعملٍ صالح، ازددت منه علماً بتعلم شيءٍ من كتاب الله، ازددت منه محبةً بأن تتقن عباداتك، إذا كنت كذلك فقد ربح يومك، وربحت تجارتك .

النبي عليه الصلاة والسلام, خاطب أحد أصحابه الكرام، وقد جاء من مكة إلى المدينة مهاجراً، لما وصل المدينة, حدَّث النبي بما جرى له في الطريق، تبعه أناسٌ, وضيقوا عليه الخناق، حتى افتدى نفسه بمالٍ له في مكة، قال:

((لو دللتكم على مالي فأخذتموه, هل تَدعوني وشأني؟ قالوا: نعم، قال: مالي في المكان الفلاني والفلاني، فقال عليه الصلاة والسلام: ربحت تجارتك))

إذاً: ليست المشقة مقصودةً لذاتها؛ إنسان يقف في الشمس بلا سبب، وبلا طائل, تقرباً إلى الله عزَّ وجل، ليس هذا في الدين الإسلامي في شيء، إن الله عزَّ وجل قال:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة الآية: 195]

لكن إذا كان طلب العلم, يحتاج إلى مشقة، يحتاج إلى سفر، يحتاج إلى أن تخرج من بيتك الدافئ، لكن طلب العلم إذا كان يحتاج إلى بذل مال، وقد يكون هذا المال أنت بحاجةٍ إليه، فبذل هذا المال، بذل هذا الوقت، تحمُّل هذه المشقة، هذه مشقةٌ جعلتها وسيلةً لعملٍ عظيم، لو أن إنساناً طلب منك أن تعاونه في إنجاز قضية، فذهبت معه صيفاً أو شتاءً، وتحملت في هذه المساعدة المشقة، هذه المشقة تؤجر عليها أضعافاً مضاعفة .

إذاً: النقطة الأساسية في هذا الحديث: أنه لا يجوز أن يسعى المؤمن إلى مشقةٍ بلا هدف، لا يجوز أن يحمِّل نفسه مشقة لا طائل منها، لأن المشقة ليست مطلوبةً لذاتها، يمكن أن تكون المشقة وسيلة لعلمٍ، أو

لعملٍ، أو لقربة، أو لجهادٍ، هذا كله تحسب عندئذٍ هذه المشقة بثوابٍ كبير لا يعلمه إلا الله . لذلك النبي عليه الصلاة والسلام بينما كان يخطب، إذا هو برجلٍ قائمٍ، يبدو أنه قائمٌ في الشمس، فسأل عنه, فقالوا:

((أبو إسرائيل -اسمه: أبو إسرائيل- نذر أن يقوم في الشمس، وألا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم -فأن تنذر لله ألا تقف في الظل، هذا إلقاءٌ بيديك إلى التهلكة، أن تَنْذر لله أن تقوم في الشمس، هذا إلقاءٌ بيديك إلى التهلكة- قال: مروه فليتكلم -ليس في ديننا صيامٌ عن الكلام، ليس في الشريعة الإسلامية صيامٌ عن الكلام- وليستظل، وليقعد, وليتم صومه))

لأن الصوم قربةٌ من الله عزَّ وجل.

ما أردت من هذا الحديث, إلا أن ننطلق منه إلى هذه الحقيقة الأساسية: يجب ألا تُستهدف المشقة لذاتها، أما إذا كانت طريقاً إجبارياً، أو وسيلةً وحيدةً لبلوغ مرتبةٍ عند الله، الصيام فيه مشقة؛ لكنه أمرٌ تعبدي، وأمرٌ إلهي، يجوز أن يكون الجهاد في سبيل الله شاقاً، لكنْ هناك هدفٌ نبيل، وهو نشر الإسلام في الخافقين، فحينما خرج الصحابة الكرام من بلادهم، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها، لا شك أنهم تحملوا مشقةً كبيرة، بل هي كبيرةٌ كبيرة، لكن هذه المشقة, كانت وسيلةً إلى عملٍ عظيم لله سبحانه تعالى, يثيب عليها ويتقبلها .

من معاني هذا الحديث :

عَنْ أَبِي صَالِحٍ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ, فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي, فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ, وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))

ربنا عزَّ وجل أمرنا بأشياء، ونهانا عن أشياء، وسكت عن أشياء، فالحكمة التي نستشفُّها من الذي سكت عنه، لا تقل عن الحكمة التي نستشفها من الذي أمر به، ولا تقل عن الحكمة التي نستشفها من الذي نهى عنه، فهناك أمرٌ، وهناك نهيٌ، وهناك سكوت، فالذي سكت الله عنه, يجب أن نسكت عنه، فكلما سألت في هذا الموضوع, ضاقت عليك الأمور، بنو إسرائيل جعلهم الله لنا عبرةً، أُمروا أن يذبحوا بقرة فقط، لو أنهم مسكوا أية بقرة وذبحوها لأجزأتهم، قالوا: ما لونها؟ قال تعالى:

﴿مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾

[سورة البقرة الآية: 70]

ما زالوا يسألون عن هذه البقرة إلى أن ضاقت الدائرة، وأصبحت هذه الصفات لا تتوافر إلا في بقرةٍ واحدة، طلب صاحبها ثمناً فوق الخيال، لذلك ضيق بنو إسرائيل على أنفسهم بكثرة السؤال، الشيء الذي

سكت الله عنه, يجب أن تسكت عنه، والذي أمر به, يجب أن تبحث عنه، والذي نهى عنه, يجب أن تبحث عنه, لتكون عابداً لله عزَّ وجل، لتكون عند الأمر والنهي .

لذلك عَنْ أَبِي صَالِحٍ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ, فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي, فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ, وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))

كان سيدنا عمر مع أصحابه في مكانٍ، وكانوا بحاجةٍ إلى الوُضوء، رأوا غدير ماءٍ، فسأل بعضهم صاحب هذا الغدير:

((هل ترد السباع هذا الغدير؟ فقال سيدنا عمر: يا صاحب البركة لا تجبنا))

لأن الأصل في الأشياء الإباحة، أنت إذا بعت حاجةً, لست مكلفاً أن تسأل المشتري: ماذا ستفعل بها؟ صحن يباع، هل ستستخدمه في وضع طعامٍ محرم؟ لست مكلفاً أن تسأله هذا السؤال، هذا الشيء لم تطالب به، لذلك الإنسان أحياناً يترك الأشياء الواضحة البيّنة، ويتَّبع الشبهات فيقع فيها، فالإنسان عليه أن يكون أديباً مع الله عزَّ وجل، أن يأتمر بما أمر الله، وأن ينتهي عما نهى عنه الله، والشيء الذي سكت الله عنه، يجب أن تعلم علم اليقين: أن في السكوت عنه حكمةً ما بعدها حكمة .

((اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ, فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي, فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ, وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))

لكن لما يكون للإنسان عمل تجاري، أو عمل مهني، وهناك أسئلة كثيرة تتعلق بحرمة المال أو بحلِّه، هذه الأسئلة ليست من هذا الباب، مهما سألت فيما يتعلق بتحري الحلال, فأنت تعبر عن ورعك، وركعتان من ورع خيرٌ من ألف ركعةٍ من مخلِّط ، لكن أشياء غيبية، أشياء متعلقة في الجنة والنار، لو بالغت في السؤال عنها، هذه الأسئلة مضيعةٌ للوقت، فقد صحّ في الحديث القدسي, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ, مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ, وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ, فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾))

[أخرجهما البخاري ومسلم عن أبي هريرة في صحيحهما]

فالشيء الذي أخبرنا الله عنه, نكتفي بما أخبرنا عنه، ولا نزيد، لا نسأل، لا نستفهم، لا نستوضح، الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن الجنة، وذكر في هذه الأخبار أوصاف الجنة، أنت تريد هذه المرأة؛ مَن سيتزوجها في الجنة؟ يا أخي الرجل له من الحور العين ما يكفي، فهذه المرأة ما الذي لها؟ أسئلة كثيرة متعلقة بالجنة، والله سبحانه وتعالى ذكر في هذا الباب آياتٌ محدودة، حكمة الله عزَّ وجل اقتضت أن تكون هذه الموضوعات محدودةً في القرآن حول الجنة والنار، فليس هناك من طائل, في أن تطرح أسئلةً

في هذا الموضوع, أنت في غنىً عنها، يا ترى سيدنا يوسف بعد ما خرج من السجن، وصار عزيز مصر، هل تزوج امرأة العزيز؟ والله لا أدري، الله سبحانه وتعالى سكت عن ذلك، ونحن أيضاً يجب أن نسكت عن ذلك، لأن هذا الشيء خارج المغزى .

كنت أضرب مثلاً: أن إنسان أراد أن يعلم إنسانًا مقومات التجارة الناجحة، فسرد له قصة, قال له: فلان الفلاني، أو أعرف شخصاً, اختار محلاً تجارياً في المكان المناسب، واختار بضاعة مناسبة، وكانت معاملته لطيفة، وأسعاره معتدلة، وما باع ديناً، ولا رفع السعر ، فربح أرباحاً جيدة، واشترى بيتاً، وتزوج، أنت تريد أن تعلمه, أنه لا بد من أن تختار الموقع الجيد لمحلك التجاري، ولا بد من أن تختار البضاعة الجيدة، والسعر المناسب، ولا ينبغي أن تبيع ديناً، وينبغي أن تكون لطيفاً، وما شاكل ذلك، فسألك هذا السائل: هذا الشخص الذي حدثتني عنه أهو طويلٌ أم قصير؟ هذا لا علاقة له بالموضوع، ولا بالمغزى، هذا السؤال يدل على أنك لم تفهم المغزى .

فأحياناً ربنا عزَّ وجل يذكر قصة، وتنتهي القصة عند حدثٍ معين، أنت تريد أن تعرف ماذا وقع بعد ذلك؟ هذه الوقائع لا علاقة لها بالمغزى، ربنا عزَّ وجل كلامه موجز، وربنا عزَّ وجل يتكلم فيما له علاقة بالمغزى، أما فيما ليس له علاقة، حتى كُتَّاب القصة, يقولون: التفصيلات لا تُذكر إلا إذا كانت في خدمة القصة، فإذا لم تكن في خدمة القصة, فهي عبءٌ عليها، عندنا جزئيات كثيرة، فإما أن تذكر هذه الجزئيات، وتكون في خدمة القصة، أو أن تصبح هذه الجزئيات عبئاً على القصة، فالقصد أنه بالإسلام في ناحية العملية، يا ترى, قالوا عن الشيخ محي الدين: (الشيخ الأكفر)، وقال عنه الصوفيون: (سلطان العارفين), أيهما أصح؟ الجواب:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 141]

هذا مضيعةٌ للوقت، هذا من شأن الله عزَّ وجل، هذا الرجل العارف بالله, له عند الله مقام, لا يرفعه مدح المادحين، ولا يضعه ذم الذامّين، له عند الله مقام، لذلك ماذا جرى في صفين؟ ماذا جرى في موقعة الجمل؟ أصحيح ما قاله المؤرخون؟ هذه موضوعات لا تقدم ولا تؤخر، ولا تجدي، أنت في زمنٍ محدود.

لما يستيقظ الإنسان, صباح كل يوم, يقول له اليوم:

((يا بن آدم! أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني قبل ألاّ أعود، تزود مني, فإني لن أعود إلى يوم القيامة))

فالوقت خطير، لذلك الإنسان يشبه وضعه تماماً: لو كان عنده امتحان بعد يومين في كتاب مقرر، وفي مكتبته ألف كتاب؛ قصص، كتب تاريخ، كتب سير، كتب في المغازي، كتب علمية، فلو أنه أمسك كتاباً

من هذه الكتب, لا علاقة له بالامتحان بعد يومين، وطالعه، واستمتع به، أليس بهذا العمل غير حكيم؟ طبعاً إنه غير حكيم، لأن الكتاب المقرر مهم جداً .

هذا الذي أريد أن أقوله، هناك موضوعات في الإسلام لا تقدم ولا تؤخر، مهما طرحت فيها أسئلة، مهما تلقيت الإجابات الصحيحة، إنها موضوعاتٌ ثانوية، للإسلام جوهر، فاجعل همك أن تصل إلى جوهر الإسلام، اجعل همك أن تضع يدك على جوهر الدين، اجعل همك أن تحقق الهدف من وجودك في هذه الدنيا، اجعل همك أن ترتقي أنت, لا أن تمدح زيداً أو عُبيداً، ارتقِ أنت إلى الله عزَّ وجل، فالحديث عن السابقين، وعن خلافاتهم، وعن مشكلاتهم، هذا الحديث لا يقدم ولا يؤخر.

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ, فَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي, فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ, وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ))

يعني: كونوا عمليين، ولا تكونوا حالمين، كن عمليًا، أنت في زمن محدود، والموت على الأبواب، ولا بد من أن نموت، وسوف تحاسب على أعمالك كلها، أما لو ضيَّعت أشهرًا, في موضوع مضى خلاف بين بعض المذاهب مثلاً، خلاف بين أصحاب رسول الله، لو أمضيت كل عمرك في هذا الموضوع, ماذا تستفيد؟ شيء وقع، وانتهى، عليك أن تبحث عن عملٍ يُجْدي، ويصلح للعرض على الله عزَّ وجل .

علام تدل هذه الأحاديث ؟

والحديث الثالث والأخير، عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ:

((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً, ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ, وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ, فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ, وَالسَّمْعِ, وَالطَّاعَةِ, وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ, فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ, فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ, فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ, فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي, وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ, عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ, حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ, فَقَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ, أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ, وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ, أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ, وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ, وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ, وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ, إِلَّا بِالتَّقْوَى, أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ, ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ, قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ, قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ, قَالَ: وَلَا أَدْرِي, قَالَ: أَوْ

أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا, فِي شَهْرِكُمْ هَذَا, فِي بَلَدِكُمْ هَذَا, أَبَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالَ: لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية: 13]

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالَ:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ, وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ, وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ))

[أخرجه أبو داود عن جبير بن مطعم في سننه]

فالتعصب انحياز أعمى إلى جهة, على الحق, أو على الباطل، وليس من أخلاق المسلم التعصُّب، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ, عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((قَالَ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا, وَإِنْ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ, كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ))

[أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في الصحيح]

((أنا ملك الملوك, ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني, حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد عصوني, حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك, وادعوا لهم بالصلاح, فإن صلاحهم بصلاحكم))

الإمام مالك يقول:

((لو أن لي دعوةً مستجابة, لادَّخرتها لأولي الأمر, لأن في صلاحهم صلاح الأمة))

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ, وَالسَّمْعِ, وَالطَّاعَةِ, وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ, فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا))

الإسلام كالنبع الصافي، انظر إلى النبع في منبعه؛ ماءٌ زلال، عذبٌ فرات، صافٍ براق، متألق، رقراق، انظر إلى مصب هذا النبع, ترى ماءً أسود اللون، فإذا كنت بطلاً, فعُد إلى المنابع، الإسلام له منابع, ينابيعه القرآن، ينابيعه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، هذه الينابيع، ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء, فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن سواه, فهم رجال ونحن رجال، ارجع إلى الينابيع، ارجع إلى أصل الإسلام .

هذا البدوي الذي امتحنه سيدنا عمر، قال له:

((بعني هذه الشاة .

قال: والله ليست لي .

قال: خذ ثمنها .

قال: ليست لي .

قال: خذ ثمنها .

قال: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت, أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادقٌ أمين، ولكن أين الله؟))

هذا البدوي وضع يده على جوهر الدين، فأنت عد للينابيع، الدين في جوهره؛ أقام الصلاة, وآتى الزكاة، اتصالٌ بالخالق، وإحسانٌ إلى المخلوق، هذا جوهر الدين، فإذا كنت متصلاً بالله عزَّ وجل، محسناً إلى خلقه، فقد حققت الهدف من وجودك، هذا هو جوهر الدين، اتصالٌ بالخالق، وإحسانٌ إلى المخلوق، لذلك: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر, لم يزدد من الله إلا بعدا .

وعلى الصيام أيضاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالَ:

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ, وَالْعَمَلَ بِهِ, وَالْجَهْلَ, فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ, في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة في الصحيح]

حجوا قبل ألاّ تحجوا، قبل أن يصبح الحج تجارةً، وسياحةً، وقلوب الحجاج في غفلةٍ عن ذكر الله عزَّ وجل، يعني: هذه العبادات لها مغزى، ولها جوهر .

فلذلك:

((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ, وَالسَّمْعِ, وَالطَّاعَةِ, وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ, فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا))

الدين مثلاً: جاء أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام, كانوا رهباناً في الليل، فرساناً في النهار، الآن في حلقات دينية؛ دوران، وطبل، وزمر، هكذا الدين؟ هكذا كان أصحاب رسول الله؟ في حلقات أخرى, الدين فيها طرب، في حلقات أخرى, الدين أن يمسك بآلةٍ حادة, فيخرق بها بطنه، هكذا فعل أصحاب النبي؟ .

(مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا): سيرى اختلافاً كثيراً عما أنا عليه وأصحابي، عما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، إذا رأيتم اختلافاً كثيراً؛ في جهةٍ أصبح الدين طرباً، وفي جهةٍ أصبح الدين رقصاً، وفي جهةٍ أخرى أصبح الدين حركةٍ اهتزازية، في جهةٍ ثالثة أصبح الدين خرقاً للعوائد، وفي جهةٍ رابعة أصبح الدين كله منامات، وجهة خامسة أصبح الدين كله انزواء عن المجتمع، هناك اختلافاً كثير، أما إذا كنت بطلاً, فكن كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم, وأصحابه الكرام .

(مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا): مبالغة بشيء، وإهمال أشياء، يتضخم هذا الشيء عند أناس، وينسون مقابل ذلك أشياء أساسية في الإسلام، إذا عشتم إلى ذلكم الزمان:

((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ, فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ, فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ, فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي, وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ, عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

من هنا كان تدريس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحاديثه الشريفة من أقوالٍ ، وأفعالٍ، وإقرارٍ، وصفاتٍ، ومن هنا كان تدريس سيرة الخلفاء الراشدين، هكذا وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام .

لذلك علماء الحديث قالوا: القول الذي يقوله الصحابي الجليل, يعد حديثاً شريفاً، لأنه لا يعقل أن يقول قولاً إلا وسمعه عن النبي عليه الصلاة والسلام، فالحديث إما أن يكون مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وإما أن يكون مقطوعاً عند الصحابي الجليل، وهذا يدخل في الحديث الشريف .

((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ, فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ, فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ, فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي, وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ, عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

شيء ما كان من قبل، البدعة التي نهى النبي عنها, شيءٌ أدخل على العبادات, وليس من العبادات، لو أنك قرأت القرآن قبل الصلاة, وقلت: هذا من العبادة، هذه القراءة بدعة، أما التي لا علاقة لها بالحرام والحلال, ممكن تنير البيت بسراج، ممكن بوسائل عديدة، ممكن أن تنير البيت بالكهرباء، هذه لا علاقة لها بالدين، ولكن لما يكون في شيء جديد يمس المحرمات، فإذا نظرت إلى شيء، وثارت الشهوة من خلال هذا النظر، فهذا صار بدعة، ولكنها محرمة، هذه بدعةٌ في الدنيا محرمة، لأنها مست أمرًا إلهيًّا, مست غض البصر، مست الأمر بالاحتشام .

فالموضوع دقيق: إذا أحدثت في العبادات ما ليس منها, فهذه بدعةٌ في الدين، أما إذا الإنسان طوَّر حياته، رفع مستوى معيشته، سكن ببيت, صار في تدفئة من نوع معين، إضاءة من نوع معين، نام على السرير، والنبي نام على الفراش في الأرض، هذه لا علاقة لها بالدين، النبي لبس ثوبًا، أنت لبست زيًّا موحَّدًا, تقريباً سروال وسترة، فهذا الشيء لا يمس, إلا إذا كان هذا الثوب وصف العورة، وصف لونها أو حجمها، دخل الموضوع في المحرَّمات، فما يستحدثه الإنسان في شأن الدنيا, مما ليس له علاقة بأوامر الدين ونواهيه, هذه معفو عنها، لكن ما يستحدثه الإنسان في الدنيا, مما له علاقةٌ بالحلال والحرام، ما كان حلالاً يجوز، وما لم يكن حلالاً فلا يجوز .

إذاً:

((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ, يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ, فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ, فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي, وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ, عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

إذا أحدثنا في العبادات ما ليس منها، ما لم يكن على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فهذه كلها بدع، وهذه البدع ضلالات، لأنك ألزمت الناس بها، والنبي لم يفعلها، فكأنك بهذا تزيد على فعل النبي عليه الصلاة والسلام، وليس هذا من اتباع السنة في شيء .

إليكم وصية أبي طالب لقومه عند احتضاره أثناء الموت :

والآن: إلى بعض الأخبار عن سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه .

سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه، رابع الخلفاء الراشدين، اسمه: علي بن أبي طالب، فمن أبو طالب؟ أبو طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام، حينما كان هذا الشيخ الوقور, مُسَجًّى على فراشه، وهو يحتضر -أي: في النزع الأخير- أوصى قومه هذه الوصية قال: يا معشر قريش، أوصيكم بتعظيم هذا البيت, فإن فيه مرضاة الرب, وقوام العيش .

طبعاً: أبو طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام هذه وصيته، ولكن سوف ترون في هذه الوصية, أنه كان رجلا شريفًا، وكان من عليَّة القوم، وكان نبيلاً، وكان كريماً، وكان محبوباً من قومه، يقول أبو طالب:

((صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأةٌ في الأجل .

-فالشخص الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام, قال:

((ماذا بقي علي من بر والدي بعد موتهما؟ قال: أربعة أشياء؛ أن تصلي عليهما، وأن تدعو لهما، وأن تنفذ عهدهما، وأن تصل صديقهما، وأن تصل الرحم التي لم يكن لها صلة إلا بهما، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما))

إنسان له أخت, يجب أن يزورها، هي أمام زوجها, تشعر أنها مقطوعة، إذا زارها أخوها من حين لآخر, تحس بكيان، تحس أن لها أهل لا ينسونها، فليتفقد الإنسان أقرباءَه، أرحامه، أقرباءه من طرف الأب، من طرف الأم، أخواله، خالاته، وحتى يكون الوضع دقيقًا، إلا إذا كان في هذه الصلة معصية، عندئذٍ درء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المنافع، إذا كنت أصل خالتي، وتحدث علاقة مع بنات خالتي، وبنات خالتي أجنبيات عني، وأقع في التفات نفس، ومخالفة شرعية، فهذه الصلة نشأ عنها معصية، إذاً: ليس من الحكمة أن تتبع خيراً ربا عليه الشر، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع- .

قال: صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل .

-أي: تطيل العمر، وكلمة: تطيل العمر, دائماً في الأحاديث, بمعنى: أن الإنسان عندما الله عز وجل يرزقه أعمال صالحة، فهذه أعمال الصالحة تثمِّن عمره، فكأنه طال، واحد اشتغل في السنة بمئة ألف، وإنسان اشتغل في سنة بمئتي ألف، كأنه اشتغل بسنتين، اشتغل بسنة بثلاثمائة ألف، كأنه اشتغل ثلاث

سنوات، فعندما يأتي الحديث بإطالة العمر، أي أن يكون هذا العمر غنياً بالأعمال الصالحة, فكأنك عشت ستين عامًا، سبعين عامًا، الإمام الشافعي مات في الخمسينات، ولكنه ترك آثارًا، وهناك أناس عاشوا مئة سنة, لم يحصلوا شيئًا, مما حصله الإمام الشافعي، فالعمر الزمني عمر تافه في حساب الأعمال الصالحة، لأن العمر الأساسي: ما في هذا العمر من أعمال الصالحة- .

اتركوا البغي, فقد أهلك القرون من قبلكم، يا معشر قريش, أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة, وشرف الممات .

-أحياناً إنسان يدعوك, وأنت وقتك ضيق، وقد يكون البيت بعيدًا، وقد يكون الشخص من عامة الناس، ولكن إجابة الداعي حق، من آداب المسلم: أنه من دعاه, وجب حقه عليه، فتلبية الداعي صفةٌ أصيلةٌ في أخلاق المسلم- .

وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة, ألا وإني أوصيكم بمحمدٍ خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصادق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به .

-جمع كل هذه الفضائل، جمع صلة الرحم، وجمع حُسن الجوار، وجمع الأمانة، وجمع الصدق، وجمع الرحمة- .

قال: ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان, وأنكره اللسان مخافة الشنآن, -في هذه الدعوة القلب قبلها، واللسان رفضها مخافة هذه المعارضة التي قام بها قريش ضد النبي عليه الصلاة والسلام- وايم الله, كان له نظر ثاقب, لكأني أنظر إلى صعاليك العرب -معنى صعلوك بالمفهوم الحديث: إنسان من الطبقة الدنيا في المجتمع؛ خلقاً ونسباً، ولكن في المعنى القديم الفقير فقط- وايم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب, وأهل الأطراف -خارج مكة- والمستضعفين من الناس, قد أجابوا دعوته، وصدَّقوا كلمته، وعظَّموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت .

-الحقيقة: إذا كان الإنسان صعلوكًا كما وصف أبو طالب، وكان من أطراف البلاد، وكان مستضعفًا، وأجاب دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، وصدق كلمته، وعظَّم أمره, صار في أعلى عليين، صار شريفاً، صار عظيماً، صار مقدَّساً، صار طاهراً، البطولة أن تعرف ما الذي يرفعك عند الله عز وجل، إذا آمنت بهذا النبي العظيم، وصدقت دعوته، واتبعت سنته، رفعك الله إلى أعلى عليين، سيدنا يوسف, كان عبداً عند العزيز، ولكن قوله:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة يوسف الآية: 23]

جعله ملكاً على مصر، فسبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعته، كأن أبا طالب رأى ما سيكون- وايم الله, لكأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الأطراف، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، ولكأني به وقد محضته العرب ودادها -العرب محضت هذا النبي عليه الصلاة والسلام ودادها .

لذلك صحابي جليل, قد تفقده النبي عليه الصلاة والسلام بعد معركة أحد فلم يجده، فسأل عنه، فلم يعلم أحد عنه شيئاً، فكلف أحد أصحابه البحث عنه، توجه إلى ساحة المعركة، فإذا بهذا الصحابي, الذي تفقده النبي بين الموت والحياة، قال له:

((إن النبي يقرئك السلام، ويقول لك: أأنت بين الأموات أم بين الأحياء؟ فقال: أنا بين الأموات, ولكن قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جزاك الله عنا كل خير، جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وقل لأصحابه: لا عذر لكم عند الله, إذا خُلِصَ إلى نبيكم, وفيكم عينٌ تطرف))

فالعرب محضوه الوداد، لأنه كان أرحم بهم من أنفسهم، وأعطته قيادها- .

والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدي أحدٌ بهديه إلا سعد، ولو كان في العمر بقية, لكففت عنه الهزاهز، ودفعت عنه الدوائر-يعني هذا الكلام فيه حكمةٌ، وفيه معرفة لقدر النبي عليه الصلاة والسلام- وأنتم يا معشر بني هاشم, أنتم أقرب الناس إلى النبي، وأنتم يا معشر بني هاشم، أجيبوا محمداً, وصدقوه, تفلحوا, وترشدوا))

ابن آدم أطع ربك, تسمى عاقلاً, ولا تعصه فتسمى جاهلاً، وغاب عن الوعي، وتوفاه الله عز وجل بعد أن أدى هذه النصيحة لبني هاشم خاصةً، ولقريش عامة، هذا أبو طالب .

علي بن أبي طالب هذه مكانته، وهذا شأنه، وهذه معرفته بالنبي عليه الصلاة والسلام، وهذا نصحه لقريش, ولبني هاشم .

من مواقف أبي طالب :

أيها الأخوة, أبو طالب قبل أن يموت, رأى ولده علياً, يصلي خفيةً وراء رسول الله، وكانت هذه أول مرة, يعلم فيها أن ابنه الصغير, قد اتبع محمداً، وما اضطرب الطفل حين رأى أباه يبصره مصلياً، ولما أتم صلاته، ذهب تلقاء والده, وقال له في صراحةٍ وثباتٍ:

((يا أبتِ, لقد آمنت بالله وبرسوله، وصدقت ما جاء به واتبعته, فأجابه أبوه أبو طالب, قال: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير, فالزمه))

انظر الموقف الكامل، إذا ابنك بدأ بطريقة دينية، بدأ يغض بصره، بدأ يصلي، يجب أن تشجعه، يجب أن تفرح به، فقال له:

((يا أبتِ, لقد آمنت بالله وبرسوله, وصدقت ما جاء به واتبعته، فقال أبوه أبو طالب: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير, فالزمه))

بل إن أبا طالب, رأى النبي عليه الصلاة والسلام يوماً يصلي، وقد وقف عليٌّ إلى يمينه، ولمح من بعدٍ ولده جعفر، فناداه حتى إذا اقترب منه, قال له:

((صل جناح ابن عمك - صل وراء رسول الله- وصل عن يساره))

فقد كان يعرف قدر النبي، وكان يعرف شأنه، ويعرف جوهر دعوته .

موقف آخر له :

هذا أبو طالب، فمن هو عبد المطلب؟ جده, سيدنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، نبقى مع أبي طالب قليلاً: ذهب أبو طالب إلى قريش, وقال:

((يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فلما قاطعوا قريش النبي عليه الصلاة والسلام, كتبوا صحيفة، كتبوا قرار المقاطعة، فجاءت الأرضة -نوع من الحشرات- فأكلت هذه الصحيفة، وأبقت فيها كلمة الله عز وجل, فحين أنبأه النبي عليه الصلاة والسلام، أنبأ عمه أبا طالب بهذه الحادثة، جاء أبو طالب إلى قريش في ناديهم، وقال لهم: يا معشر قريش, إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن تك كما قال محمد, فانتهوا عن قطيعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن يك كاذباً, دفعته إليكم، وفعلاً لما رأوا أن الصحيفة قد أكلت، ولم يبق منها إلا كلمة الله، انتهت هذه القطيعة، وعاد الوصال بين بني هاشمٍ وبين قريش))

قبل هذا ذهب وجهاء قريش إلى أبي طالب, وقالوا:

((يا أبا طالب, إن لك لنا فينا سناً, وشرفاً ومنزلة، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، ولم تنهه عنا، يعيب آلهتنا، ويسب ديننا، وإنا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وعيب آلهتنا، وتسفيه أحلامنا، فإما أن تكفُّه عنا، أو ننازله وإياك، حتى يهلك منا أحد الفريقين -حينما قالوا هذا الكلام, جاء رد النبي عليه الصلاة والسلام، طبعاً: أبو طالب نقل هذه الرسالة إلى النبي عليه الصلاة والسلام- فكان رد النبي عليه الصلاة والسلام: والله يا عم, لو وضعوا الشمس في يميني, والقمر في يساري, على أن أترك هذا الأمر ما تركته, حتى يقضيه الله, أو أهلك دونه .

عندئذٍ قال: امضِ يا بن أخي لما أردت، فو الله لن أسلمك أبداً))

دافع عنه كذلك .

لما مات أبو طالب, كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((والله ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه, حتى مات أبو طالب))

كان قد بذل جهدًا كبيرًا في الدفاع عنه، وفي حمايته، وفي دعمه في هذا المجتمع الكافر .
النبي عليه الصلاة والسلام مرةً كان متألِّماً, فقال:

((يا عم, ما أسرع ما وجدت فقدك))

حينما افتقد عمه أبي طالب, أحس بفراغ كبير، لأنه كان خير نصير له في محنته مع قريش.

إليكم هذه الأقوال المشهورة التي وردت عن عبد المطلب :

وقصة عبد المطلب: لما جاء أبرهة الأشرم إلى مكة ليهدم الكعبة، كيف وقف هذا الموقف الذي يعبِّر عن إيمانه بالله؟ فقال:

((اللهم إن المرء يمنع رحله, فامنع رحلك، هذه بلادك، وهذه أرضك، وهذا بيتك, فامنعه أنت))

وله قول شهير:

((إن للبيت رباً يحميه))

وقال مرة:

((اللهم هؤلاء عبيدك -في أحد السنوات الشحيحة- وأبناء عبيدك، وقد نزل بنا ما ترى، فاذهب عنا الجدب, وائتنا بالمطر والخصب))

هذا دعاء عبد المطلب في بعض السنوات الناحلة .

لما ولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام, كان عبد المطلب له أبيات من الشعر, يتمثل بها، كان يقول:

الحمد لله الذي أعطـــاني هذا الغلام الطيب الأردانِ
قد ساد في المهد على الغلمانِ أعيذه بالله ذي الأركـان

حتى أراه بالغ البنيان تفاءل هذا الجد العظيم بهذا الحفيد، وكأنه شعر أن لهذا الغلام الصغير مستقبلاً عظيماً.

قبيل وفاة عبد المطلب, أوصى أبا طالب ابنه, قال:

((يا أبا طالب، سيكون لابني هذا شأنٌ فاحفظه، ولا تدع مكروهاً يصل إليه))

عن رسول الله, اللهم صل عليه .

الخاتمة :

في هذه الكلمات القصيرة, أردت أن تعرفوا: أن هذا الخليفة الراشد, سيدنا علي بن أبي طالب، أبو طالب كان ذا شأنٍ، وذا مكانةٍ، وذا حلمٍ، وذا فضل، وكان خير من رعى النبي عليه الصلاة والسلام،

ودعمه, وحماه، وكان يقف كالمتراس تجاه كفار قريش، وكان يتمنى أن يتبعه بنو هاشم, ليكونوا سنداً له، ولأنه يدعو إلى خير .

وفي درس قادم إن شاء الله تعالى, ننتقل إلى الأحداث التفصيلية المتعلقة بسيدنا عليٍّ رضي الله عنه وأرضاه .